

## الناهج في وصف المباحج

لمفردة القس الفاضل جرجس منث الماروني الحلبي (تنته)

٦ في ابراب الكتاب

افضل الامام العظيم والمحسن الكريم السيد برمانوس فرحات في جعله هذا الكتاب التريدي في حجة كتب المكتبة الارونية واذاف الى فضله فضلا آخر في تصديره له بنهرس مطول يقرب مثاله من ريدي فوائده فالخصه عنه اتساعا في وصف محترياته وتمهيدا لما يأتي من معارضته بغيره من اشباهه. واعلم ان ما يتخلل الفصول من الارقام انا هي ارقام صفحات النسخة السابق وصفها

الفن الاول في السماء وما يتعلق بها. الباب ١١ في ذكر مبدأ خلق السماء وهيتها (ص ٢) الملكة والجن. هيات السوات. ما تصوّره القديما. من الافلاك. ما وراه نهاية الافلاك. عجز العقول عن ادراك حقائق الافلاك (٢١). الباب ٢١ في ذكر الكواكب السيارة (٢٣) اختلاف اوضاع الكواكب. الشمس وميرها. القمر وطولعه ومذمته. ليالي الشهر على ما قسمها العرب. الحسوف والكسوف. الكواكب المتحيرة (٤٦). الباب ٣ ذكر الكواكب الثابتة وما رصد القديما. منها (٤٨) صور النصف الشمالي والجنوبي من الفلك. ما قسمت اليه البروج من الاوضاع. شرح قولهم الاجتماع والقران والنظر والاتصال والمقابلة. خفوض الكواكب السيارة. شرح الاقبال والادبار (٧٦). الباب ٤ في ذكر منازل القمر وما قيل فيها (٩٢). السعود الارسة. فوائده استحسنها العلماء. كواكب عرفها العرب. خواص القطبين. النجوم التي يقع عليها لفظ الافراد والتثنية (١٣٥). الباب ٥ في ذكر الآثار العلوية (١٣٧). النار والهواء. والسحاب والثلج والبرد والرعد والبرق والشهب (النيازك) وقوس قزح (١٥٨). الباب ٦ في الليالي والايام (١٥٩) قسمة الليالي والايام الى ساعات. اختلاف مقدار النهار بحسب الدررض. ما يختص به الليل والنهار من الذكر والوصف. الليالي والايام المشهورة (٢٤). الباب ٧ في الشهور والاعوام (١٧٦) الشهور والسنة والنسي

معناه تأخر رجب الى شعبان ومحرم الى صفر في سني انكس (١) وفي رأي المؤلف ان العرب تلمه من اليهود) والسنين المشهورة (١٨٢). الباب ٨ في فصول السنة وازمتها (١٨٨) ما ذهب اليه العرب في ترتيب فصول السنة (١٩٠). الباب ٩ في ذكر مواسم الامم واعيادهم .

الفن الثاني في الارض وما يتعلق بها (٢٠٢). الباب الاول في مبدأ خلق الارض وهيئتها (٢٠٩) الاقاليم (٢١٢). الباب ٢ في ذكر الجبال والمعادن (٢٣٢). الباب ٣ في البحار والجزائر (٢٣٣) تقسيم البحار. انواع الجزائر (٢٤٥). الباب ٤ في ذكر العيون والانهار (٢٥٧). الباب ٥ في ذكر اسباب من سكن العمود (٢٥٩) انكلدان واليونان والروم والافرنج والقطب والعرب والترک والمنسود والاكراد والفرس والبربر والسودان والصقالبة (٢٩٠). الباب ٦ في ذكر البلاد ونواحيها وما ملك المسلمون منها (٣٤٢). الباب ٧ في طبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد (٣٤٧). الباب ٨ في المباني التي بقي اثرها ووعظ خبرها (٣٦٨). الباب ٩ فيما وُصفت به المنازل والمنازل

الفن الثالث في الحيوان وطبائعها (٣٧١). الباب ١ في ذكر خصائص نوع الانسان (٣٧١) شرف نوع الانسان. مبدأ خلقه. ما امتاز به وتمايز اخلاقه. امكان استبداله الخلق الذي باخلقت النبي. (٣٩١). الباب ٢ في ذكر طبائع ذي الناب والظفر (٣٩٢) كالاسد والبير والنمس (٤٠٤). الباب ٣ في طبائع الحيوان الوحشي (٤٠٥). كالقيل وانكر كند والزرافة والابل (٤١٣). الباب ٤ في طبائع الحيوان الاهلي (٤١٤) كالفرس والبغل والحمار والابل (٤٢٢). الباب ٥ في طبائع الحشرات والهوام (٤٢٤) كالحيات والورل والضب والحرباء (٤٣٣). الباب ٦ في طبائع سباع الطير وكلاهما (٤٣٤) كالهتاق والبازي والباشق والبيدقة (٤٤٣). الباب ٧ في طبائع بنات الطير (٤٤٤) كالحمام والينام والينام. والقبيج (٤٥٧). الباب ٨ في طبائع الطير الليلي والمهبيج (٤٥٧) كالنكروان والصدى والبرم ودود القز (٤٦٩).

الباب ١١ في طبائع حيوان البحر والمشترك (١٦٥) السك والرعاة والطحفة والضفدع وبنات الماء (سيريس) وهي من خزافات القديما.

الفن الرابع في النبات وفلاحته (١٧١) . الباب الاول في كيفية كون النبات وكيفية (١٧٣) قوى النبات ومضارعه الحيوان (١٨١) . الباب ٢ في ذكر ما يوافق النبات من الارضين والسرجين مزدرع مصر (١٨٢) . منفعة الامطار (١٨٦) . الباب ٣ في فلاحة الحبوب والقطاني (١٩١) الحنطة والشعير والارز والكتان والقطن الخ (١٩٩) . الباب ٤ في فلاحة البقول (٥٠٠) البطيخ والتأ والحيار والجور والبادنجان الخ (٥١١) . الباب ٥ في فلاحة النبات الذي لثوره قشر (٥١٤) اللوز والجوز والجلوز والفسق والصوبر الخ (٥٢٥) . الباب ٦ في فلاحة النبات ذي النوى (٥٢٥) النخل والتارجيل والزيتون والمشمس والخوخ والزعرور والحروب (٥٤٠) . الباب ٧ في فلاحة النبات الذي لا قشر لثوره ولا نوى (٥٤٠) الكرم والتين والتوت والتفاح والكثيرى واللأح (٥٥١) . الباب ٨ في فلاحة اصناف الرياحين (٥٥٦) الورد والترجس والحبق والشور (٥٧٤) . الباب ٩ في ذكر الاشجار ذوات الصوغ والامنان . . .

هذا ما امكن اثباته وقد اضربت عن كثير من الفصول خرف ملل القراء الكرام . وفي ذيل الفهرس ما نصه : « تم هذا الفهرس بيد الحخير في رؤساء الكهنة جرمانوس اسقف حلب وذلك في دير سيدة لوزية من جبل كروان من اعمال بيروت في كانون الاول سنة ١٧٢٨ » اه رحمه الله ونفعنا بآثاره

٢ في حواشي الكتاب

عني فريق من اکتاب بيذا الكتاب النفيس فعلقوا عليه الحواشي والتعليق التي لا تخلو من الفوائد العلمية والادبية واللغوية والفلكية والتاريخية والانتقادية على ان الكثير منها يغلب عليه الحرافة والباطل اذ تعرض ككتبتها للزجر والقال والتنجم وما شاكل هذه الاباطيل مما يتعلق بعالم النيب ودون النيب افعال لا يصحها الزجر والقال ومن هذه الحواشي ثلاث او اربع حواشي ادبية ادبجها المؤلف او غيره باثناء اکتاب وميزها عن غيرها بقوله (حاشية للمؤلف) ومنها ست او سبع تعليقات

اتحادية وادبية علمها كاتبها الفحل على هامش الكتاب ويغلب عليها الافادة والحظورة .  
ومنها حواشٍ عديدة شعرية علمية مصدرية (بحاشية بعضهم) وقد انبأ الناسخ عن  
صاحبها حيث قال في (ص ٥٣٢) ما حكايته: « هذه الحاشية نظم الشيخ الامام الفاضل  
العارف بالله تعالى ابي اسحق ابراهيم النزي الشهير بابن رقاعة نفع الله بعلومه وما نسب  
( اي في الكتاب ) من الحواشي على قافية التاء . فن نظمها من القصيدة المذكورة ( يريد  
تأنيته في النبات والاشجار ) وغيرها من الايات التي مكتوب عليها حاشية بعضهم  
له اه

ومنها نحو اربعين او خمسين حاشية مطولة وندرجة في خلال الكتاب يشغل  
بعضها ثلاث صفحات من الكتاب او أكثر شرح بها معلقاتها النفل كثيراً من اغراض  
الكتاب العلمية والتاريخية وفي الظن الراجح انها لناسخ الكتاب وهو غفل ايضاً  
اخذاها عن النروي والتويري وكعب الاحبار وابي اسامة الباهلي والشريف الادريسي  
ونصير الدين الطوسي ونفث الدين الرازي وغيره من العلماء المشاهير ومعظمها العظيم من  
اذكار النروي وتاريخ التويري والسر المكتوم في مخاطبة النجوم المنسوب للرازي وهي  
مميزة عن متن الكتاب بهذا الحرف ( حاشية ) فقط . ولعل النسخة الموصوفة تنفرد بهذه  
الحواشي عما سواها

ولا بد من ان اعرض على القراء مثلاً او مثالين من هذه الحواشي :

« حاشية للمؤلف رحمه الله قال : ان النفوس يصلحها التقليل من حال الى حال والتوقل على  
شرفات الشد والترحال للاطلاع على التراب والاستطلاع للديانج وقد قال الله تعالى : او لم يسيروا  
في الارض فينظروا . وقال سبحانه : هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فاشروا في مناكبها . وقال  
تعالى : انلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت . والى الارض كيف سطحت ...  
وذكر النبي (صلم) خطبة قس بن ساعدة بكماط وفيها قوله : « ان في السماء لخبيراً وان في الارض  
لخبيراً » فتبين على اللبيب المتبحر تنبؤ امر كل مسلكة وما هي غلبته من المنلآت والمبآت  
والاصطلاحات وما اشتملت عليه من التراب والامجوبات ليعرف اهل كل قطر ما عليه الآثر  
كأنهم يشاهدونه مياناً ويدركونه بياناً ع آثر الحاشية والله تعالى اعلم »

ولا ادري المراد من حرف العين المفرد المثبت هنا ولعله مقتطع من عنوان كتاب  
او علم من الاعلام

ومن الحواشي المعزوة للناسخ وهي غريبة في بابها قوله :

حاشية ذكر النوري في تاريخه في الجزء ١٣١ في قصة عيسى (عم) انه رُفِعَ اول مرة ثم هبط الى الارض وارصى الحواريين ثم رُفِعَ ثانية قال رفيع الله تعالى عيسى لثلاث ساعات مضت من النهار فلبث في السماء اياماً قِيلَ سبعة ايام وقيل اربعين يوماً والله اعلم. ثم قال الله: ان اعداءك اليهود اعجلوك عن الرصية والهدى الى اصحابك فاتزل اليهم واعهد لهم واوصهم واتزل على مريم المجدلانية فانما في غار في جبل الخليل وكانت مريم المجدلانية من قرية من قرية من قرا (٢) انطاكية يقال لما مجدلا (١) وكانت من اوسط بني اسرائيل حباً وكانت اجمل نساءهم واكثرهم مالاً وكانت تستحاض فلا تطهر ابداً. فلما ظهر عيسى صلوات الله وسلامه عليه وشاع ذكره انتتت في جملة المرضى ليشفيها فنجحت ان تسأله لكثرة اناس حوله فجات من ورائه فستت بيدها فزال عنها ما كانت تشكوه وظهرت (وطهرت) ونفقت مالها قيسا امرها به من وجوه البر وصارت فقيرة وتبشلت وتبشلت للعبادة وكانت تمتد من اصحاب عيسى. قال وامر الله تعالى عيسى ان يامرها ان تجتمع له الحواريين وان يستخاف عليهم شامون وان يفرقهم دعاة الى الله عز وجل في البلاد وان يجبرهم بالسلامة التي تاتيهم من الله. ثم اهبته الله تعالى فاشتعل الجبل نورا وامتتت بالحواريين فلبثهم رسالة ربهم وقال ذلك ان تاتيكم الملائكة في ليثكم يعترف فيها نور من نور الله فكل من تناول منققة منها فليلبس النور الذي فيها فانه يصبح وقد تكلم بلغة القوم الذي يثبت اليهم ويصبح وهو حل باب مدينتهم. قال والبلبة التي هبط عيسى فيها هي اليلة تدعى النصارى فيها بالبان. قال فلما فرغ عيسى من وصية الحواريين رفع بعد سبعة ايام وتوفاه الله تعالى لثلاث ساعات من النهار ثم كساه الريش وألبسه النور وقطع عنه المظم والمشرى وصار ملكياً انبياً آخر الحاشية. اهـ

وهذه خاتمة كل حاشية من الحواشي المدرجة في الكتاب

هـ في اشباه الكتاب

لا تمدثني النفس ان اتيسط في ما نضا العرب اليه من الركاب في التحصيل وما عانوه في التدوين والتأليف وما تركوه من كتب موسوعات العلوم مثل ابن احمد الخوارزمي وابي يعقوب الكاكي وابن عروة الحنبلي وغيره من الائمة المشاهير الذين تمعد على فضلهم الحناصر فان هذا البحث خطير لا يعه صدر مثل هذه المقالة وقد سبني اليه جناب الاديب اللوذعي الامير شبيب ارسلان في مقاله المشعة (اتساع التأليف في الاسلام) التي نشرها على صفحات المشرق الاغر (٢: ١٦٣-١٦٧) فايراجها من شاء انما اقتصر هنا على ذكر التأليف التي تشبه الكتاب اوصوف بحتوياته وهي عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات لتركيا بن محمد الكوفي القزويني التوفي سنة

١٦٨٢ هـ الله في زمن مفارقتِه الوطن . المقالة الاولى في العلويات وفيها ثلاثة عشر نظراً .  
 والمقالة الثانية في السفليات وفيها انظار وفصول . اوله : « المنظمة لك والكبرياء جلالك  
 اللهم يا قائم الذات . . » طبعه ورستفند في غوتفن سنة ١٨٤٩ والبابي بهامش حياة  
 الحيوان للدميري في القاهرة ١٣٠٥ هـ وترجمه بعضهم الى الفارسية وطبعه في طهران  
 سنة ١٢٦٤ هـ . قال الحاج خليفة : « واختصره بعضهم وسماه الدرر المنتقات ( ؟ ) من  
 عجائب المخلوقات . » والمغرب عن بعض عجائب المغرب لابي حامد محمد بن عبد الرحمن  
 الاندلسي . اوله : « الحمد لله الذي ابدع العالم علماً على توحيد . . » ذكر فيه انه قد سأله  
 بعضهم ان يذكر نسه وبلاده وما شاهده من عجائب البلدان فاجاب قال : رأيت ان  
 استبي هذا المجموع المغرب على رواية الكاتب الآف الذكر . وتحفة العجائب وطرفة  
 الترائب لمز الدين ابي الحسن علي بن ابي انكرم المعروف بابن الاثير الجزري المؤرخ  
 المشهور صاحب التكميل المتوفى سنة ٦٣٠ هـ جميعاً من كتب عديدة اولها : « الحمد لله رب  
 الارباب ومنشئ السحاب . . » ورتبها على اربع مقالات . وعجائب المخلوقات للشيخ  
 شهاب الدين احمد الحموي . اوله : « الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين . . »  
 ذكر فيه انه ألف كتاباً مشتملاً على الآثار العلوية والسفلية . قال حاجي خليفة ما حرقه :  
 « ثم اردد بعجائب المخلوقات ورتبه على فصول وابواب واختصره بعضهم وسماه الدرر  
 المنتقات من عجائب المخلوقات . » وعجائب المخلوقات موجز عن كتاب التزويدي لان  
 مؤلفه كان ينقله منه اوله : « الحمد لله رب الارباب . . » فيه بين جد وهزل وملح غريبة  
 وريقتين وجزل والأولى ان يُعدّ في جملة الادبيات المنشورة ( اه عن ١٠٨ : ٢ ) وما يليها من  
 كشف الظنون طبعة الاستانة بصرف وزيادة عليه )

ونجبة الدهر في عجائب البر والبحر مجلد للشيخ شمس الدين ابي عبدالله محمد  
 بن ابي طالب الاتصاري الصوفي الدمشقي المعروف بشيخ حلين وبشيخ الربرة المتوفى  
 سنة ٧٢٧ هـ اوله : « الحمد لله الذي خلق السموات والارض . . » وهو على سبعة ابواب  
 ككتاب عجائب المخلوقات . طبعه مهن وفارين في بطرسبرج سنة ١٨٦٦ . وكتاب  
 العجائب والترائب مؤلفه مترجمي كما قاله مترجمه السروري وهو على عشر مقالات : الاولى  
 في العلويات ونظائرها . الثانية في الافلاك . الثالثة في الزمان . الرابعة في السفليات  
 ونظائرها . الخامسة في العناصر . السادسة في المعادن . السابعة في النبات . الثامنة في

الحيوانات. التاسعة في القوى. العاشرة في الجن ( عن ٢: ٢٨٧ و ١٠: ٩٠ من الكشف  
بزيادة عليه )

ونهاية الارب في فنون الادب في ثلاثين مجلداً لشهاب الدين احمد بن عبد  
الوهاب التويري الكندي التوفى سنة ٧٣٢ قال: وما اوردت فيه الاغلب على الظن  
ان النفوس تميل اليه وترتبه على خمسة فنون. الاول في السماء والآثار العلوية والارض  
والعالم السفلي ويشتمل على خمسة اقسام. الثاني في الانسان وما يتعلق به ويشتمل على  
خمس اقسام. الثالث في الحيوان الصامت ويشتمل على خمسة اقسام. الرابع في النبات  
ويشتمل على اربعة اقسام ( وذياته قسم خامس من انواع الطب ) . الخامس في التاريخ  
ويشتمل على خمسة اقسام. والكتاب يهده حاجي خليفة من اكتب التاريخ ( الكشف  
٢: ٦١٩ ) والأحق ان يعد في حجة موسوعات الفنون

وقبي كتب اخرى اقل مادة واحط شأنًا من اكتاب الموصوف مثل بلوغ المراد  
من الحيوان والنبات والجماد للشيخ ابي بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي  
التوفى سنة ٨٣٧ وخريدة العجائب وفريدة الغرائب لزين الدين محمد بن المظفر  
المعروف بابن الرودي التوفى سنة ٧٤٩ في البلدان والمعادن والنبات والحيوان وقد عرض  
صاحب الكشف باوهامه وباطيله الواهية ( ١: ١٦٠ ) واقف عند هذا الحد خوف  
الملل ومن شاء التوسع فعليه بكشف الظنون وغيره من فهارس الكتب العربية

٩ في مآرضه الكتاب

انت خير ان غالب الكتب السابقة الوصف هي مخاطيط ان لم تكن ملقاة في  
زوايا الامل ففي حيز العدم ولم ينشر منها في عالم المطبوعات سوى ثلاثة كتب  
اكثرها تداركاً كتاب عجائب المخلوقات للتزويني فأقتصر على معارضة اكتاب  
الموصوف به لما بينه وبينها من شدة المشابهة تنمى للفائدة وتكملة للبحث المقصود  
فالتزويني يكسر كتابه العجائب الى مقالتين. الاولى في العلويات ينظر فيها الى  
الانفلاك والكواكب والمنكبة وما يلحق بها. والاخرى الى كورة النار فكرة للمؤلف.  
فكرة الارض وما فيها من الاحجار والنبات والحيوان الى غيره من اشباهه. والثاني  
يكسر كتابه الباهج الى كتب اربعة: الاولى في السماء ويبحث فيه عن المنكبة

والانفلاك وانكراكب وما يتصل بها . والثلاثة الباقية في الارض ويحصر بحثه فيها في  
الجبال والبخار والمعادن والبلاد والحيوان والنبات الى غيره من نظائره  
والتزويني يبدأ بالبحث في الانفلاك فالمنكة مثلاً . واما انكبي فيبدأ بالكلام  
على المنكة فالانفلاك اعتبار ان البحث عمّا في السماء . مقدم طلباً على ما تحتها فالمباهج  
في هذا احسن ترتيباً من العجائب . والتزويني يبحث في القمر والشمس وانكبي يبحث  
في هذه قبل ذلك علماً منه بان القمر مستمد من الشمس وهذه اعلى من ذلك وهو  
ادنى منها فلكتاً . فالمباهج افضل وصفاً من العجائب من جهة الفلكيات ايضاً  
والتزويني يبحث في النبات فالحيوان اعتقاد ان البحث بالقوة النامية فالحاسة  
فالعاقله اولى وانكبي يبحث في الحيوان فالنبات اعتقاد ان الحيوان العاقل فالحاس  
افضل من النامي فالتزويني ينتقل من قوة كاملة الى اخرى اكل منها الى ان ينتهي الى  
الانسان لباب الكمال في المخلوقات وانكبي يبدأ بجمل القوي يأخذ بعده في تفصيل  
كل قوة منها بمفردها فالاول يتدرج من الاخص الى الاعم والآخر عكس وكلا  
الاسلوبين حسن يد ان الاول اعرق بالساليب الفلسفة . والتزويني يعد البرق والرعد  
والسحاب والرياح من السفليات وانكبي يعدها (من الآثار العاروية) ويلتصها بعالم  
الانفلاك وانكراكب فالمباهج ادق حكماً في المظاهر الجوية وغيرها من الموضوعات  
كما هو ظاهر

والتزويني يذكر من الاحجار مئة واربعه وعشرين حجراً واما انكبي فيقتصر على  
اثنين وعشرين فقط ويضرب عن حجر التقي وحجر انكلب وحجر المطر وحجر الناقة  
وحجر طارد النوم وحجر سهل الولادة وما لحق بهذه الترهات التي هي بالارهام اولى  
منها بالحقائق . وهو يضرب ايضاً عن منافع امثال هذه الاحجار التي تشفي من لعة  
العقرب وتسكن اليرقان وتبصرى التروح وتشفي الصدع وتنفع الميرن وتجب النساء . الى  
ازواجهن الى غير ذلك مما هو معدود من الحرافات ولا حظاً له من المعارف في شي .  
فانكبي اكثر حكمة من التزويني في هذا الباب

والتزويني يذكر من المنكة هاروت وماروت ومنكر ونكير والحفظة والمعقبات  
وحمة العرش والسباحين . . . ولا شي . من هذا في الماهج . والتزويني ينظر في تشريح  
اعضاء الانسان من اعصاب واوردة وشرايين وعظام وغيرها ولا ذكر لها في الماهج .

والتزويني ينظر الى القوى النفسانية الظاهرة والباطنة على اختلاف اصنافها وصاحب المباحج يلم ببعضها الاماماً خفيماً فهو مختصر من هذه الجهة كما لا يخفى

والكتبي يتطرق في مباحجه الى البحث في طبيعة الارض والمعروف من طبقاتها في عصره ولا شيء من هذا في العجائب. ويذكر شهور العرب والروم والفرس والفرنج والسيران وفي العجائب لا يذكر الا شهور الامم الثلث الاولى عازياً شهور السريان الى الروم. ويسل كل من اولاد نوح سام وياقت وحام ولا شيء من ذلك في العجائب. ويذكر الشعوب انكلدان والفرس واليونان والروم والفرنج والقبط والعرب والبربر والحلبس والسردان والترك والاكراد ولا اثر لهم في العجائب. ويذكر البلاد المعروفة بمصره ولاسيا بلاد المسلمين على مقتضى التخطيط الجغرافي ولا شيء من هذا في العجائب. ويصف عجائب الماني كالبجج والحورنق والسدير وايران كسرى والاهرام وغيرها ولا اثر لذلك في العجائب وعليه فالمباحج اكثر ابواباً من العجائب

والتزويني يحكي كثيراً من الامور عن عجائب البر والبحر والاجار والطلسمات مما يضرب عنه الكتبي في كتابه من حيث هو من باب الحكايات بل الخرافات واذا جاء فيه بيمض الشيء منها فورد من قائله ومذكور على عهد صاحبه وهو في الغالب يده من باب «اكاذيب العرب ومزاعم القوم وخرافات القوم» الى غير هذه مما يدل على دقة نظره وسعة عقليه وترفيه عن تصديق مثل تلك الترهات فتأمل

وبالجمله ان المباحج اغزر مادة واحسن تبويهاً وابعد رمى عن السخائفة والخيالط من العجائب بل ان كل مادة من مواد المباحج اكثر بسطاً واكثر استيعاباً وادق تعريفاً وشرحاً من العجائب وهذا اخصر فصل في حجر اليشب اعارض فيه بين قول الكتابين ليظهر لك صحة الدعوى وان يكن قصره لا يفي بالفرض المقصود

قال الكتبي: «اليشب واليشم هما حجران يقرب بعضهما من بعض يتكونان في معدن الفضة من الحجر مقصرة عن كيان الفضة اما بالزيادة واما بالانقصان في الرطوبة ولا يدري اينما كان [اولاً] واجود اليشم ما كان لونه اصفر كاون العاج العتيق يميل الى الزرقة يسيراً هذا هو المعدني ومنه المصنوع ما لونه ابيض له بريق وصفاً جوهر واشراق يوتق به من الصين. ومن المصنوع ما لونه ازرق في غاية الحسن والصفا. وليس المعدني في شيء من هذه الاوصاف البتة. واما اليشب فنه ابيض والازرق والزرقة

مضروع كما يصنع اليشم « (اه عن باب ٢ من الفن الثاني)  
وقال القزويني: «حجر اليشب ابيض مشهور يقال له حجر الغلبة من استصعبه  
لا يظبه في الحرب ولا ينجئه احد ولهذا يجعله الملوك في مناطتهم المرصعة واذا وضعه  
العطشان في فيه سكن عطشه» (اه عن جزء ٢ ص ٨ من طبعة مصر) وبعد هذا كله  
لا اتالك من العجب لاهمال الباهج في زوايا النسيان واصابة المجانب كل ذلك  
الاشتهار والشروع

١٠ في انتقاد الكتاب

لا بد من انتقاد الكتاب تشمة لوصفه وتفرقة بين حقه وباطله ومعرفة صوابه من  
خطائه وصحيحه من فاسده فاقدمت على وعرة هذا الملك وانا لست من طبقة  
المؤلف الذي فاق وسار ذكره في الافاق وابدع كما شاء في ما تحوَّاه من الفنون الشاملة  
بسيط الارض واديم السماء خشية ان اقتصر في ترفية البحث حقه فارمي بالفرض في  
الاقتصار على الثناء على الكتاب وعلى راضيه فالدينار تظهر فضيلته من حجه لا من  
ملاحة ترقشه الظاهرة

واول ما يؤخذ على المؤلف متابته بعض اهل السير والرواة في عزو الرائسة  
المتفتحة (بربك ايها الملك المدار) الى ابن سينا البخاري والصواب انها لابن شبل  
البغدادي ومنشأ خلطه وخاط سواه وحدة الكنية والاسم فان كليهما يكنى بابي علي  
ويسمى بالحسن وحسبك الان من الادلة ان ابا اصيعة يثبتها للثاني في كتابه طبقات  
الاطباء.

ومن هذا وهمه في ان جلق هي دمشق. قال في اثنا. كلامه على تملك جفنة  
النسائي: «فلما استرثق الملك بنى جلق وهي دمشق وتخصر (١ هو وقومه) والصواب  
ان جلق غير دمشق (٢) وهذه لم يثبتها احد الفاسنة وقد ابان هذا الامر حضرة العلامة  
الاب هنري لامنس اليسوعي بما لا مرد عليه (المشرق ٣: ٤٣٨ و ٥٧٢ و ٦٥٨)

(١) اثبت صاحب المشرق نصرانية غسان بما لا مرد عليه خلافا لما زعمه المكاتب البغدادي  
في مجلة المتنبس (انظر المشرق ١٠: ٥١٩ و ٥٥٤)

(٢) ليس كل لغوي العرب على ان جلق هي دمشق كما زعمه البعض فان مثل ابن سيدة في  
بيت النبي «ويركزما بين الفرات وجاءني» يقول (جلق في الشام بقرب دمشق). وكفى  
بقوله حجة لا تدفع

ومنهُ زعمهُ في لون الفلك حيث قال: « ان الفلك في نفسه جسم ليس بضياء . وان الشمس والنهار يشرقان عليه كما يشرقان على الارض فاذا اشرقا عليه وهو مظلم رأَي (رُؤْيَ) لونه لآزوردياً » . وقد استذركهُ عليه بعض محشي الكتاب فقال: « لو صح هذا القياس لآرُؤْي لون الفلك اشد زرقه بالليل ولا شمس ولا نهار » قلت: وفي كلا القولين نظر من جهة جسيمة الفلك ومن جهة زرقته وفي كل منها آراء ليس هنا محل ايرادها . واما علة زرقه الجو فيرتجح اليوم كثيرون انها ناشئة من انعكاس اشعة الشمس الزرقاء على القبار الجوي فتأمل

ومنهُ تعبه ابا الريحان البيروني حيث قال: « انه يخرج من خليج القلزم خليج آخر يسمى بحر بربرا منسوب الى طائفة من الزنج » قال الكشي: « وهذا منه وهم » . على ان الشريف الادريسي وياقوت الرومي وابا الفداء وسواه من جغرافيين العرب يسندون قول البيروني في هذا الخليج والمحدثون على ان المراد به خليج عدن او خليج اجان ومنهُ زعمهُ بالجن وتصحيحهُ هذر القدماء في وحدة الجن والملئكة « بان الجن غير الملئكة مخلوقون من سنج غير سنجهم وهو النار » الى ان قال: « فان انكر قوم خلق الجن قهرتهم براهين المقول وحجج القياس من ان الله تعالى انشأ خلق العالم من اربعة اجزاء جعلها اصولاً لمن خلق من العالم الحي الارض والماء والهواء والنار . والعالم نوعان علوي وسفلي والسفلي نوعان خلقها من جزئين من الارض وهو ما عليها من الحيوان والثاني من الماء وهو ما فيه من السمك وهما هابطان لهبوط الارض والماء وظاهران لظهور اصلها فاستر القياس فيهما وبقي العالم العلوي جزآن الهواء والنار وقد استقر خلق الملئكة من الهواء فأتخصر معتول القياس ان يكون خلق الجن من النار لتكون الاجرام الاربعة اصولاً لخلق اجناس اربعة » وفي هذه الفقرة عدة مأخذ وحيث ان المقدمة من القياس فاسدة لزم بحكم الضرورة ان تكون النتيجة فاسدة كما يظهر بادق تأمل

ومنهُ انكاره البرهان الثابت على كروية الارض من « ان الشمس والقمر وسائر الكواكب لا يربد طلوعها ولا غروبها على جميع نواحي الارض في وقت واحد بل يُرى طلوعها على النواحي الشرقية من الارض قبل طلوعها على النواحي الغربية وغيبوتها عن النواحي الشرقية قبل غيبوتها عن الغربية » وهو برهان لا يختلف فيه اثنان وامتراء المؤلف فيه في حين انه يقرُّ بكروية الارض وسيرها من الترابة بمكان

ومنهُ اعتقاده بما يجري مجرى الطلسمات كقولهِ « ان مدينة خبيص من مدن كرمان لا يعطر المطر فيها ابداً الا خارج المدينة » وكقولهِ: « لا يوجد مدينة حمص عترب واذا أخذ من ترابها نُثر على العترب ماتت » ومثله « لا يدخل مدينة اعزاز من اعمال حلب حية واذا أخذ وثر من ترابها ماتت لوتبها » الى غيرها من صنفها وهي من ارهام العوام ومنهُ قوله في حظوظ الكواكب وهو مجرّفه: « زحل حظه في ال ٤ وال ٨ لانه يدل على الارضين والقنارات ٠٠٠ والحزن والموت . والمشتري حظه في ال ٢ وال ١١ لانه يدل على الاموال والنعم ٠٠٠ واصناف السمادات . والمريخ حظه في ال ٦ وال ١٢ لانه يدل على الملل والمرض ٠٠٠ والسجور . والشمس حظّها في ال ١٠ لانها تدل على العز والقوة والملك ٠٠٠ والزهرة حظها في ال ٥ وال ٧ لانها تدل على احوال الاولاد والنساء ٠٠٠ . وقوله في افراح هذه الكواكب وهو بلفظه: « زحل يفرح في ال ١٢ وآفته في ال ٦ . المشتري يفرح في ال ١١ وآفته في ال ٥ = المريخ يفرح في ال ٦ وآفته في ال ١٢ . الشمس تفرح في ال ٩ وآفتها في ال ٣ . الزهرة تفرح في ال ٥ وآفتها في ال ١١ . الى غير ذلك من القول بالحير والشر والاقبال والادبار النورطة بالكواكب والاجرام وهي من الاباطيل التي ليس تحتها طائل وصدورها غريب عن قلم المؤلف الذي يهزأ باكاذيب العرب وترهات العوام ومخرقات اهل الفأل والتنجيم

على ان كل هذا طفيف والحطب فيه يسير بالنسبة الى ضخامة انكتاب وعذر المؤلف اظهر من بيانه في عصره وحاشا ان ينض هذا من جانبه او يحطّ من رفعة مقامه فان له في جنب كل سينة حنات وقبالة كل زلة بدائع وآيات فلا عجب ان يُمتنر له مثل هذه السيئات بشفاعه الحنات وما هي بقليلة

١١ في فوائد الكتاب

بقي ان ابسط لدى المطالع ما اتى به المؤلف البارع في كتابه الرائع من جليل الفوائد وجزيل العوائد حتى جاء طبق اسمه مباحج الفكر ومناهج العبر . ولا عجب ان حاد عن طرق الصواب في بعض محتويات انكتاب فالجواد قد يكبو والذقي قد يصبو . ولا صدّ الأهفوات العارف وتدخل الزيوف على اعلى الصيارف . وانت خير ان التعقب على الكتب المطواة سهل بالنسبة الى تأليفها ورضعها وترصيفها بل ان التعقب على انكب القديمة بنض النظر عن زمانها الذي كسدت فيه بضاعة الادب وقل من ينضي

الى اکتساب المعارف وکتاب الطلب ليس هو بالشيء الحسن عند نقاد هذا الزمن كما لا يخفى على ذوي الازهان

فان کتاب علمي ادبي . فاقسم العلمي يبسط الموائف فيه كل ما عرف في عصره من اراء ومعارف العرب واليونان والسرمان القدماء . في ما له اقل علاقة في بسط الارض واديم السماء . والقسم الادبي يورد فيه كل مستعذب مستلح من ثر وشعر فاشق قبي الديباجة متين التركيب على الاتشاء لا يخارج من نكته وانه ار حكمة بالغة الى قدر اخرى ادية نادرة في نيران العرب والليالي والايام المشهورة والسنين التي تضرب بها الامثال وغيرها من اشباهها . وبين كلا القسمين حمة ظاهرة متينة الاراخي لا غبار عليها . وكل هذا قلما اجتمع في كتاب من فقه من كتب العرب التي تتداولها ايدي القوم في هذه الايام

وتحت ذلك فوائد اخرى عديدة اجدرها واخلقها بالتعريف الفوائد اللغوية حيث يذكر طائفة كبيرة من الالتفاظ اللغوية والارضاع العربية البحتة في اسما . عالم الكواكب وعالم الارض وعالم الحيوان وعالم الحجار وعالم النبات . والفوائد الفلكية حيث يبسط معارف العرب في الاقلاك والكواكب المتغيرة والثابتة ومن العرب الماهة الى كروية الارض وسيرها قبل غيلاي بسين عديدة . والفوائد الجيولوجية اذ يروي ما عرفه من طبقات الارض وبجارها وجزرها وجبالها واقاليمها وان غلب عليها القدم فلا تخلج من طلاوة الجديد للباحث المصري . والفوائد الزراعية فيثبت آثار زراعة الحبوب والبقول والياحين والاشجار عند العرب والرومان واليونان والسرمان . والفوائد النسية مثل سلائل سام وحام ويافث طبق ما ورد في الكتاب العزيز وفي اثنتانها يثبت اولية الخلق لآدم وينتد اصحاب المذهب المخالف . والفوائد التاريخية ولاسيما اخبار العرب والترك والاكراد والصابئة فانه لا يشذ فيها عن مهرة اصحاب الاخبار والرواة . والفوائد الجغرافية بالخصوص جغرافية بلاد المسلمين وعلى الاخص جغرافية مصر واعمالها والاندلس وخططها فانها لا نظير لها في كتب الرجل واصحاب آثار البلاد . وفوائد اخرى مثل اكتشافات العرب في التبت والصين والمند واليونان واوقيانة والقطبين الجنوبي والشمالى وكل هذا بسطة بالطف اشارة دون ان يمتوره ادنى لبس او اشكال . وأقف عند هذا المدى خشية ملل القراء وكفى به تعريفاً بكتاب